مصائب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أمام استفزازات الادارة الفرنسية 1931 – 1940 .

أ/ محمد جلال/ جامعة الجزائر –2–/ أبو القاسم سعدالله

ملخص :

وصلت رئاسة الشيخ عبد الحميد بن باديس لجمعية العلماء خلال فترة 1931– 1940 إلى اليأس بعد أن تهاطلت عليها المصائب و العراقيل المسلطة عليها من قبل الادارة الفرنسية سواء هذه المصائب أحاطت بالجمعية من خلال تنفيذ برنامجها التعليمي ، أو بعلمائها لما إعترضتهم مكائد خططت لها السلطة الفرنسية أدت بالبعض منهم حتى إلى الإنسحاب . أما فيما يتعلق بتنفيذ برنامج الجمعية التعليمي في المدارس و المساجد، فقد كان قانون 8 مارس 1938، والذي يقضي بمنع فتح أي مدرسة حرّة دون توفر الشروط التي حددتها الإدارة و كانت قاسية ، أكثر القوانين تعسفا على التعليم العربي الحر.

أما فيما يتعلق برجال جمعية العلماء، فقد أصيب البعض منهم في عزّته وكرامته إلى درجة أنّ استمالتهم الإدارة و استطاعت أن تحوّلهم إلى جانبها في مشروعها الإستعماري التغريبي مع ذلك فإنّ استماتة الجمعية لهذه الهزّات الخطيرة حال دون إنقطاعها عن المجتمع و واصلت تعهداتها التي رسمتها منذ تأسيسها حتى وفاة شيخها و بعده من خلف في الرئاسة.

Article Summary :

The presidency of Sheikh Abdel Hamid Ben Badis Association of Scholars during the period 1931 - 1940 to despair after it was plagued by the calamities and obstacles, which is controlled by the French administration, whether these calamities surrounded the Assembly through the implementation of its educational program, or scientists did not object to the machinations planned by the French authority Some even led to withdrawal.

As for the implementation of the educational program in schools and mosques, the law of 8 March 1938, which prohibits the opening of any free school without the conditions set by the administration and was harsh, was the most arbitrary law on free Arab education.

As for the men of the Association of Ulama, some of them were injured in their dignity and dignity to the extent that the administration attracted them

and managed to turn them on its side in its colonial project of the Westernization. However, the Assembly's staggering of these serious ailments prevented its disconnection from society and continued its commitments since Established until the death of her sheikh and his successor in the presidency.

مقدمـــــــــــــة:

لقد كانت زيارتي نحو مركز الأرشيف التابع لوزارة الخارجية الفرنسية ، الكائن ب " لا كورنوف" – ضواحي باريس– نافعة و مفيدة . و أنا أبحث عن الوثائق الخاصة بتاريخ الجزائر خلال فترة الاستعمار الفرنسي ، و هو موضوع اهتمامي بحكم أنّ تاريخ الجزائرأثناء الاحتلال الفرنسي عامة و تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية خاصة ما زال لم يكشف عن كل أسراره ، وجدت قائمة من الأرشيف تحت رمز " 55 س ب كوم– 55CPCOM " من أبرز القوائم الخاصة بتاريخ الجزائر ، وهي تحتوي على 88 علبة و تضم كل علبة ما بين 250 إلى 300 وثيقة أرشيفية ، وهي عبارة عن مراسلات بين مختلف هيئات سلطة سواء في الجزائر أو فرنسا. و من العلب التي

شدّت انتباهي ، العلبتين اللتين تحملان رقم 82 و 83 و عنوانهما : نشرية الصحافة الأهلية ، مجلة الصحافة الشهرية ، الرقم الأوّل خاص بسنة 1937 و الثاني بسنة 1938 ، تضم كل علبة على ملخص ما جاء في مختلف الجرائد الأهلية خلال شهر وأهمها :

أ/ الجرائد الناطقة بالفرنسية :

– صوت الأهالي تصدر في فسنطينة ، و هي جريدة ادماجية و لائكية .

– صدى الصحافة الاسلامية تصدر في الجزائر ، وهي جريدة ادماجية و لائكية .

– الدفاع تصدر في الجزائر، قريبة من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والشيوعيين، و هي جريدة شباب المؤتمر الاسلامي الجزائري(جي .سي. أم . أ) و هي اصلاحية.

– الوفاق تصدر بقسنطينة ، جريدة فيدرالية المنتخبين المعارضين للاستعمار وهي جريدة انتهازية ...

ب/الجرائد الناطقة بالعربية:

– البصائر تصدر في قسنطينة ،تابعة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، اتجاهها وطني إسلامي، إصلاحية معادية للطرقية.

– الأمّـة تصدر في باريس ، جريدة الحزب الشعب الجزائري ،اتجاه استقلالي قويّ.

– الوفاق تصدر في وهران ، جريدة كتلة الجمعيات الاسلامية الوهرانية ، قريبة من الحزب الشيوعي ، معارضة للفاشية و ألاستعمار مدافعة عن التقارب بين الاصلاحيين والطرقيين.

– الأمّة الميزابية تصدر في الجزائر،قريبة من جمعية العلماء ، وطنية مضادة للاستعمار إصلاحية ذات مذهب اباضي...

هذه بعض عناوين التي تحتويها نشرية الجرائد الأهلية في الجزائر ، و ما يلاحظ أنّ جلّها أسبوعية و البعض شهرية تصدر بصفة متذبذبة سواء لقلّة امكانياتها أو لمنعها من الصدور و ذلك حسب درجة معارضتها للسلطة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر (**1**).

و مما يلاحظ كذلك هو طبيعة المواضيع التي تطرحها و لماذا تطرحها و بأيّ صفة تطرحها ؟ و لا شك لهذا الطرح أهداف و غايات تريد الادارة الاستعمارية الفرنسية الوصول إليها ، قد يفهم من ذلك إثارة القلاقل بين مختلف الأحزاب و الجمعيات والتكتلات مع التركيز على الصراع و النزاع الموجود بينها .هذا ما استنتجناه من خلال تصفحنا لهذه النشرية ، و خاصة العلاقة بين جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و أعضاء حزب الشعب من جهة ، و علاقتها بشيوخ الزوايا و الطرقيّن من جهة

أخرى ، و أحيانا من جهة ثالثة علاقة الجمعية مع دعاة الادماج . ما يوحي أنّ اهتمام الادارة بدأ يزداد مع مرور الوقت حيث أصبت أكثر نضجا ،هذه المواضيع التي أردنا أن نسلّط عليها اهتمامنا عسا لها أن تفيد طلابنا في ازالة اللبس والغموض في مسار الحركة الوطنية في الجزائر. و السؤال التي يطرح إلى اليوم ، ما هي الأسباب التي كانت تحول دون تجانس و تفاهم مختلف التشكيلات السياسية واتحادها في وجه الاستعمارالفرنسي؟

لم تكن جمعية العلماء المسلمين ، عند تأسيسها يوم 5 ماي 1931 ، غافلة عما ستواجهه من عراقيل و مصائب وبدايتها أنّه و بعد مدة قصيرة من تأسيسها دب الخلاف في صفوفها بين الاصلاحيين و الطرقيّن ، فقام هؤلاء بتأسيس "جمعية علماء السنّة " يوم 15 سبتمبر 1932 التي ستحمل فيما بعد اسم اتحاد الزوايا و الطرق الصوفي. و أكثر مجهود بذلته الجمعية وهي تواجه الادارة الفرنسية باعتبار أنّ كل مشاكل الجمعية إلا و كان للإدارة الفرنسية ضلع فيها ، و ذلك بإثارة الفتنة و التقسيم بين الأهالي المسلمين. فعملت على عرقلـة كل حركة و مجهود الجمعية (اعتمدت الجمعية على أساس اصلاحي ديني اجتماعي) لتحقيق هدف المحافظة على الهوية الجزائرية ، بالتركيز على مكوناتها الرئيسية و هي على التوالي : الدين ، اللغة ،

التقاليد...حتى لا تزول و تضمحل هذه القيّم أمام هجمات الادارة الفرنسية قاصدة ثلاثة أهداف: التجهيل – التنصير . الإدماج، مستعملة في ذلك عدة مؤسسات القانون . الكنيسة . المدرسة.

1. القوانين الاستثنائية : التعسفية و أظلمها قانون الأهالي عندما أصدر البرلمان الفرنسي هذا القانون يوم 28 جوان 1881 و الذي جرّد السكان الأهالي من كافة الحقوق و وضعهم في درجة بين الانسان و الحيوان .

2 . سياسة التنصير : عن طريق البعثات التبشيرية التي توغلت في عمق الجزائر مستغلة آلام الأهالي و فقرهم...وراحت تعرض عليهم الخبز في اليد اليمنى و الانجيل في اليد اليسرى، لمن يريد أن يأكل فما عليه إلا أن يتنصر.

3. المدرسة : أوّل مدرسة أسستها فرنسا في الجزائر كانت مدرسة يهودية – فرنسية عام 1832، ثم تبعتها مدرسة عربية – فرنسية عام 1836. لكن فكرة تكوين الأهالي بالأهالي لم تنطلق إلا بعد صدور مرسوم 14 جويلية 1850، و كذلك مرسوم 6 أوت 1850 لإنشاء ست مدارس عربية – فرنسية و أربع مدارس للإناث .(**2**) و رغم أنّ نسبة استفادة الأهالي من هذا التعليم بقي في حدود 9،1 % عام 1891، و لم تتعد 3 % عام 1930 في التعليم العام و لم تتجاوز 1% في

التعليم العالي، إلا أنّ سياسة فرنسا التعليمية، نظرا للصراع في دواليب الحكم ،كانت تهدف إلى "لا تجهيـــل ولا تعليـــم". لكن جمعية العلماء قد سطرت جملة من الأهداف ، و لتحقيقها اعتمدت على عدة وسائل كالصحافة حيث قامت بتأسيس عدة جرائد : الشهاب 1925-1939 ، البصائر 1935-1956...

أما الصعوبات و العراقيل التي واجهتها الجمعية تدل دلالة قاطعة أنّ خطورتها على الساحة السياسية بدأت تثير اهتمام السلطات الفرنسية مع مرور الوقت، وهي تنقسم إلى صعوبة تحقيق أهدافها وطموحاتها من جهة، علاقتها بالأحزاب والجمعيات وتطور مواقفها مع الأحداث التي وقعت في الفترة المراد تغطيتها منذ التأسيس إلى اندلا ع الحرب العالمية الثانية.

أ/ العراقيل و الصعوبات في مواجهة الإدارة الفرنسية :

1/النزاع بين الجمعية و السلطات الفرنسية حول التعليم.

لما رأى الفرنسيون تصميم الأمة على تعلم و قراءة دينها ولغتها واستبسال كثير من المعلمين في سبيل القيام بواجبهم نحو الدين واستمرارهم على التعليم رغم التهديد والوعيد ورغم الزجر والتغريم ،هذا كله سعوا سعيهم وبذلوا جهدهم حتى استصدروا قانون 8

مارس 1938(**3**) قانون العقاب الرهيب لقد فهمت الأمة مَن المعلمين المقصودين فهم معلمو القرآن والإسلام ولغة القرآن والإسلام لأنهم هم الذين عرفت الأمة كلها ما يلقون من معارضة ومناهضة وما يجدون من مقاومة ومحاكمة بينما غيرهم من معلمي اللغات والأديان والمروجين للنصرانية في السهول والصحارى والجبال بين أبناء وبنات الإسلام في أمن وأمان بل في تأييد بالقوة والمال.

عندما تكاثر عدد معاهد التعليم العربي "الحر" واشتد الإقبال عليها من الشعب ،رأى الاحتلال فيها بوادر انهيار سيطرته على الجزائر ، ودلائل فشل لسياسته في محاولة محو الشخصية القومية للجزائريين ،لذلك شن عليها حربا ضارية كانت تشتد أحيانا وتهدأ أحيانا أخرى تبعا للظروف السياسية داخل الجزائر وخارجها .لذلك لا تكاد تخلو جريدة أو مجلة صدرت من الشكوى لهذه الحرب التي يشنها الاحتلال على معاهدة التعليم العربي "الحر" وعلى المنظمات القائمة به.

و مما ذكر على لسان الشيخ عبد الحميد بن باديس في مجلة الشهاب عام 1937 :" العروبة و الاسلام و العلم و الفضيلة ، هذه اركان لقضيتنا و اركان الجمعية ، التي هي مبعث حياتنا و رمز نهضتنا ، فمازالت هذه الجمعية كما كانت تفقّهنا في الدين ، و

تنيرنا بالعلم و تحلينا بالأخلاق الاسلامية العالية و الفضيلة ، و تحفظ علينا جنسيتنا و قوميتنا و تربطنا بوطنيتنا العربية الاسلامية..."(**4**)

من جهة أخرى كان ابن باديس قد حدّد في المؤتمر الاسلامي (المنعقد يوم 7 جوان 1936) جملة من المطالب ، كانت بمثابة ردا على مشروع بلوم – فيوليت : – الغاء القوانين الاستثنائية – فصل الدين الاسلامي عن الادارة الفرنسية – ارجاع الأوقاف إلى جماعة المسلمين – ضرورة تعليم اللغة العربية و ضمان حرية الرأي .(**5**)

وفي هذا الشأن كتبت جريدة البصائر عام 1937 تندد بهذه العراقيل فقالت : "وهذه حكومتنا (الإدارة الفرنسية) أجبرت علينا بضع مدارس لا تأوي مجموعها ألف تلميذ من أمة تعد ستة ملايين نسمة ،لا يعلم بها أكثر من الحروف الأبجدية ومبادئ الدين ولغة أولية ، فهي تهتم بحركة تعليمنا البسيط اهتمام إنجلترا باستحكامات إيطاليا وتحصيناتها الحربية " (**6**).

عانت جمعية العلماء من مطاردة الإدارة و البوليس الفرنسي ، و حتى من البوليس السري الذي كان يجمع من المعلومات كل صغيرة و كبيرة عن الجمعية. في رسالة ، تحت رقم (1.997 C.I.E) و المؤرخة يوم 14 نوفمبر 1938 ، من والي قسنطينة إلى الحاكم العام في الجزائر، تتضمن أخبار حول سير الدروس في مدرسة " جماعة التربية و التعليم "

التابعة لجمعية العلماء ، أنّ الدروس تسير بطريقة عادية ، وقد قلّ عدد التلاميذ عما كان عليه في السنة الماضية (1937) . و وصل بالإدارة الفرنسية إلى حد التجسس على ما تقوم به المدرسة ، حيث استطرد التقرير في القول أنّ الشيخ **بن باديس** ينوي في هذا الشأن ، ارسال بعض طلبته ممن ينتقيهم ، لمواصلة دراستهم في جامع الأزهر بالقاهرة. و الأهم في ذلك أنّ الشيخ (بن باديس) له النيّة في إرسال حتى بعض الشابات من المجتمع المسلم في قسنطينة لمواصلة دراستهن في مصر. (7)

2/ ضرورة تعليم اللغات الأجنبية:

أكد ابن باديس أنّ التعليم حق طبيعي لكل إنسان و هو حق طبيعي و ديني لكل مسلم. أي أنّ حق التعيلم هو حقّان(حق الانسانية و حق الاسلام)، هذا ما قاله في مقال نشر في جريدة البصائر لعدد يوم 27 ماي 1938 تحت عنوان" الادارة و نحن " " نريد التعاون و لا نريد المعارضة، إلا إذا أجبرنا على ذلك ".(8) كانت جمعية العلماء تعتقد أن تعلم اللغات الأجنبية له أكثر من مهمة استنادا للأحاديث النبوية في هذا الموضوع ومنها على سبيل المثال: "من تعلم لغة قوم آمن شرَّهم" لذلك فيقول العلماء "من السّنة تعلم اللغات المحتاج إليها"، ويظهر لنا هذا الموضوع استنباط ابن باديس

واستنتاجه فيما يتعلق بتعلم اللغات الأجنبية والفرنسية خاصة في عصره، وتفطنه إلى المصالح التي يؤمّنها تعلم اللغة الأجنبية ولم يكتف ابن باديس باستنباط نظري، بل جعل اللغة الفرنسية ضمن المواد التي تعلّم في مدرسة التربية والتعليم. كما يؤكد ذلك الموضوع التقرير الأدبي الذي ألقاه بدار جمعية التربية والتعليم.(**9**) كما اعتمدت برامج المدارس التعليمية في التعليم "الحر" على مجموعة من المواد، سمّتها الجمعية بـ "الدروس العلمية الإسلامية" يعتقد أنها بدأت في تدريسها في مدرسة التعليم والتربية بقسنطينة يوم 21 أكتوبر 1933 ويقوم بها جماعة من علماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، تشتمل هذه الدروس على التفسير للكتاب الحكيم وتجويده وعلى الحديث الشريف وعلى الفقه في المختصر وغيره وعلى العقائد الدينية وعلى الآداب والأخلاق الإسلامية وعلى العربية بفنونها من نحو وصرف وبيان ولغة و أدب وعلى الفنون العقلية كالمنطق والحساب .

و ردا على اتهام الجمعية و علماؤها بالتعصب للغة العربية و تجاهل اللغة الفرنسية في برامج المدارس الحرّة التابعة لها ، ذكّر ابن باديس أنّ " الدول الاسلامية تحترم اللغات الأجنبية و تحترم حرية تدريسها ، و أنّ جمعية العلماء اتخذت الحركة التربوية للشعب الجزائري من باب الأمل في ايجاد تعاون مع الحكومة و التسامح الذي ميّز الدولة

الفرنسية. لكن الادارة الفرنسية تصرفت بطريقة غير منتظرة ، معاكسة لكل تطلعاتنا، لقد أعلنت محاربتها لكل تعليم اسلامي و لغته. و قد ازداد تشنجها تجاه هذا النوع من التعليم كلما زادت ارادة الشعب في تعلم دينه و لغته التي تعتبر الوسيلة الوحيدة لتعلمه.أجبرنا هذا التصرف إلى إتخاذ موقف الدفاع و المعارضة، بعد طرح ،عدة مرات أمام مسؤولي الحكومة العامة، انشغالات الشعب المشروعة ،إلى أن أخذنا هذا الموقف المتشائم و الخطير في نفس الوقت، هذا حقنا و قد قرّرنا عدم التخلي عنه، ما دامت الأدارة لم تعت إلى جادة صوابها و تطبف القوانين التي تسمح بمنح تراحيص التعليم و لا تعارضه و لا تعاقب مستعمليه.(**10**)

3/ جمعية العلماء وتعليم المرأة:

لما كان موضوع تعليم المرأة الجزائرية محل اهتمام السلطات الفرنسية فإن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لم تفوت الفرصة على نفسها حتى تنشغل هي كذلك بموضوع تعليم المرأة الجزائرية.

لكن ما يجب ملاحظته هو أن أهداف فرنسا من تعليم المرأة الجزائرية كانت مغايرة تمامًا لما كانت تصبو إليه جمعية العلماء، فقد قال "**ماتي قودري**" في موضوع تربية المرأة الأهلية في الجزائر: "مهمة ضخمة أكيد، لكنها شيقة بالنسبة لضمير الفرنسيين..." لم

يكن أحد مؤهلا لأدائها مثل السيد **جورج هاردي**(مستعمر كبير وجامعي كبير) مهمة ضرورية، لأن تربية المرأة يتعلق عليها توجيه المجتمعات مهما كانت الأبعاد فإن المرأة هي التي يجب تنويرها إذا أردنا الوصول إلى ضمير الشعب، المرأة هي التي تصنع القوة وميزة الأجناس، ألم يقلها الشاعر..." **(11)**

وقد كان ابن باديس من بين العلماء الذين أعطوا أهمية لتعليم المرأة الجزائرية وفي إحدى محاضراته التي ألقاها خلال شهر أوت 1929 في عاصمة الجزائر، وكانت من بين المواضيع التي دار حولها النقاش آنذاك في الأوساط المتفرنسة، موضوع دعوة المرأة الجزائرية إلى الدراسة في المدارس الفرنسية، وعلى الرغم من أن نظرة **ابن باديس** إلى المرأة كانت نظرة تقليدية فقد استطاع في هذا المقال أن يكشف عن حقيقتين هامتين:

1- نفاق الذين يدعون إلى تعلم المرأة في المدارس الفرنسية متعمدين السكوت عن الدعوة إلى تعلم الرجل.

2- إحساسه بالدور الذي تقوم به المرأة في الحفاظ على مقومات الشخصية الوطنية وما يترتب على تعلمها في مدارس فرنسية يخطط الاستعمار برامجها، من مسخ لشخصيتها سوف يمتد إلى الجيل الذي تربيه بعد ذلك .

أرادت جمعية العلماء أن تبقى المرأة الجزائرية على كرامتها وعفتها والتفسير الذي تعطيه الجمعية لكي تحتفظ المرأة بإسلامها و جزائريتها فإن مهمتها الأساسية في المجتمع هي أن تقوم بتربية الإنسان في أضعف أطواره "وحمله وفصاله ثلاثون شهرًا" فهي ربة البيت وراعيته والمضطرة بمقتضى هذه الخلقة للقيام به.

فعلينا أن نعلمها كل ما تحتاج إليه للقيام بوظيفتها وتربيتها على الأخلاق، النسوة التي تكون بها المرأة امرأة ولا نصف رجل ونصف امرأة، فالتي تلد لنا رجلا يطير خير من التي تطير بنفسها ، وحتى تبقى الجزائرية مسلمة، فإن تعليمها للإسلام هو أكثر من ضرورة كما يقول **ابن باديس** مستشهدا بآيات من القرآن الكريم: "لهن مثل الذي عليهن بالمعروف"(**12**)

فعلينا أن نعلمها ما تكون به مسلمة، وتعرفها عن طريق الدين مالها وما عليها ونفقهها في مثل قوله تعالي:"إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعّد الله لهم مغفرة وأجرا عظيمًا". (**13**)

وحتى تبقى المرأة الجزائرية متمسكة بدينها ولغتها وقوميتها ،علينا أن نعرفها حقائق ذلك لتلد أولادا منا ولنا، يحفظون أمانة الأجيال الماضية للأجيال الآتية، ولا ينكرون أصلهم وإن أنكرهم العالم بأسره، ولا يتنكرون لأمتهم ولو تنكر لهم الناس أجمعون .(**14**) أما الطريق الذي يوصل إلى هذه الأهداف، يراه العلماء في التعليم ،تعليم البنات تعليما يناسب خلقهن ودينهن وقوميتهن، فالجاهلة التي تلد للجزائر أبناء للأمة يعرفونها مثل أمهاتنا–عليهن الرحمة – خير من العالمة التي تلد للجزائر أبناء لا يعرفونها.

تعليم كل واحد لأهله بما عنده من علم ويآخذ الفرنسيون اعتناء جمعية العلماء بتعليم المرأة الجزائرية حيث يقول **قودري** في مجلة "التعليم الفرنسي خارج فرنسا" أن المرأة الأهلية لم تنتفض تلقائيا ، بل العكس لقد أقنعناها شيئا فشيئا، بضرورة التعليم وحركة تجديد الثقافة العربية (يقصد بها جمعية العلماء) التي تطورت في الجزائر، خلال السنوات الأخيرة. لا يمكن اعتبارها تلقائية لأنها مرتبطة ارتباطا ضيقا بالحركة التي اتسعت وشملت كل المجتمع الإسلامي.(**15**)

4/ منع رخص التعليم للمعلمين وهيئات التعليـــــــم:

كان قانون 8 مارس 1938 يهدف في الواقع إلى القضاء على هذا التعليم القومي حيث اشترط وجوب حصول المعلمين وهيئات التعليم على رخصة التعليم من الإدارة الفرنسية قبل مباشرة التعليم. وقد علق ابن باديس على هذا القانون الذي وضع خصيصا لمحاربة اللغة العربية في الجزائر. وتجدر الإشارة إلى أن ابن باديس لم يقتصر على التنديد بالقانون المذكور ، بل ذيل مقاله بدعوة كل معلم عربية نزعت منه رخصته أو رفضت له رخصته أو تعرض لأجراء حكومي أن يكاتبه كما يدعو كل جماعة تعتزم فتح مدرسة أن تراسله حتى يرشدها إلى ما يسميه بـ "الوجوه القانونية ". و مما تجدر ملاحظته أنّ القانون وضع شرطان لازمان للحصول على الرخصة المذكورة:

1- كفاءة المعلم العلمية ولياقته البدنية.

2- صلاحية المحل للتعليم وتوفر الشروط الصحية فيه (**16**).

وهذان الشرطان لا غبار عليهما في الظاهر وهما ضروريان لمصلحة التعليم ومصلحة التلاميذ في نفس الوقت ، ولكن الاحتلال جعل منها ستارا يخفي به نيته في القضاء على هذا التعليم الذي اتسع نطاقه وأصبح ينافس مدارس الاحتلال منافسة قوية ، وقد كانت سوء نية السلطة الفرنسية في ذلك واضحة ، فإذا تقدم المعلم بطلب الحصول على رخصة التعليم بعد استيفاء كل الشروط الضرورية ، كان طلبه يرفض دون تحديد أسباب هذا

الرفض ومن جهة أخرى ، حتى وإن باشر المعلم التعليم بدون رخصة عند رعاية حاجيات التلاميذ في التعليم، فإنّ الادارة الفرنسية ترفع في وجهه هذا القانون و تغلق المدرسة و يقاد المعلم إلى المحاكم أين يعاقب بالسجن أو التغريم.

كتبت "البصائر" تشكو من سوء نية الإدارة بإصدار قانون 8 مارس فقالت :"كان شعبنا في غفلة شاملة عن مستقبل أبنائه ، فكانت الحكومة في تساهل مريح مع الكتاتيب القرآنية.

وجاءت جمعية العلماء فشوقت الشعب إلى ترقية حالة الكتاتيب فأخذت جهات من الوطن الجزائري تُنظم الكتاتيب ، المعبر عندنا عنها بالمدارس ، تعبيرا نقرّه على سبيل التفاؤل وهنا وجدنا من الحكومة معاملة أخرى فأصبحت لا تسمح لنا إلا برخصة ولا تمنح الرخصة لطالبها ولو انتظر السنين ".

يقول الشيخ عبد الحميد بن باديس رئيس جمعية العلماء في مقاله "يا الله للإسلام والعربية في الجزائر" عن الصراع بين الأمة وإدارة الإحتلال الفرنسي: "بينما الأمة الجزائرية تنتظر من فرنسا منحها حق التصويت البرلماني مع بقائها على شخصيتها الإسلامية إذ أعداء الأمة الجزائرية وأعداء فرنسا أيضا يجمعون أمرهم، ويدبرون كيدهم فيستصدرون من الحكومة قرارا وزاريا بعقوبات صارمة على التعليم، ليهدموا هذه الشخصية الإسلامية من

أصلها وليقضوا عليها بالقضاء على مادة حياتها "ثم يضيف قائلاً "اعلموا أن لا بقاء للإسلام إلا بتعليم عقائده، وأخلاقه، وآدابه، وأحكامه، وأن لا تعليم له إلا بتعليم لغته فناصبوا تعليمها العداء ،وتعرضوا لمن يتعاطى تعليمها بالمكروه والبلاء فمضت سنوات في إغلاق المكاتب القرآنية (الكتاتيب) ومكاتب التعليم الديني العربي (المدارس) والضن بالرخصة واسترجاع بعضها حتى لم يبقوا منها إلا على أقل القليل" . كما كان لأعضاء الجمعية رأي و موقف حول طريقة منع التعليم العربي الحر من قبل الادارة الفرنسية .جاء موقف الشيخ محمد خير الدين(**17**) بارزا في مقال صدر في جريدة البصائر ليوم 27 ماي 1938، عنوانه "التعليم العربي الاسلامي، محاولات القضاء عليه " لقد ثار الشيخ خير الدين حول صرامة الاجراءات التي اتخذتها السلطات تجاه رجال العلم الذين كان ذنبهم الوحيد هو العمل على نشر الاسلام و تعاليمه بين السكان ، فقال"ما أضخم هذا الذنب من الله! هذا الذنب الذي أزعج مخطط الاستعمار للقضاء على الاسلام في هذا البلد بمحو لغته من أجل تسهيل تنصير و ادماج سكانه، و ذلك للقضاء على الجنس العربي الذي مكث على هذه الأرض مدة قرون سابقة...و العراقيل البديهية عما قلناه هي من جهة العراقيل التي واجهت تعليم اللغة

العربية و الضغط الممارس على المعلمين الأحرار، و من جهة أخرى تمتع مبشري التعيم الكاثوليكي و البروتستنتي بكل حرية...(**18**)

لم يكن قانون 8 مارس 1938 الجائر موجها نحو المدارس الحرة فحسب، بل كان أيضا قد صدر من أجل مراقبة المعلمين الموجهين نحو المدارس الحرة فقد جاءت بعض الشروط التعجيزية على المعلم حتى يبعد عن أي محاولة للالتحاق بهذاه المدارس منها، مثلا: حصول المعلم على رخصة التعليم من الإدارة الفرنسية، وغالبا ما كان المعلم يحرم من هذه الرخصة حتى وإن كان يوافي شروطها، إذ أن الطلب غالبا ما كان يهمل ويتناسى مدة زمنية على مستوى الإدارة المختصة، وبالتالي يكره المعلم عن المطالبة بالرخصة. فإن حدثت مراقبة لهذا المعلم ولم يحصل على الرخصة، يوقف في الحين عن التدريس وتفرض عليه غرامة مالية، يكون المعلم أحيانا عاجزًا عن تسديدها. وإذا حدث وأن رقب المعلم ثانية وهو يدرّس بدون رخصة من الإدارة كذلك،في هذه المرة سيحال مباشرة إلى السجن بحجة عدم الامتثال لقوانين الدولة والعصيان المدني. وهذه العملية التعسفية كانت تتم خاصة مع معلمي المدارس الحرة دون غيرها من المدارس الأخرى مثل التبشيرية وحتى المدارس الحرة الفرنسية وقد أدت إلى عرقلة مجهودات جمعية

العلماء في تطوير أساليب هذا النوع من التعليم وتوسيعه بفتح مدارس جديدة خاصة على مستوى القرى والأرياف التي كانت ترتفع فيها نسبة الأمية بين الجزائريين. والغريب في الأمر أن هذه الإجراءات التعسفية كانت تقوم بها الإدارة الفرنسية حسب الظروف، فتارة كانت تتغاض عن المطالبة بالرخصة حين يكون الوضع مظطربًا يظهر فيه غليان شعبي كما حدث مثلا في مدينة قسنطينة 1934 ومدينة سطيف 1935.(**19**)

5/دفاع الجمعية عن اللغة العربية:

رغم أن اللغة العربية هي لغة الشعب الجزائري، إلا أن السلطة الفرنسية قد أهملتها أكثر فأكثر، لذلك فإنها لم تحافظ على دورها كلغة نصف رسمية أو لغة رسمية ثانية (**20**). توسعت اللغة العربية في المساجد، العدالة الخاصة بالمسلمين، وحتى إلى بعض قطاعات من الإدارة الأهلية (في بعض البلديات المختلطة وفي الصحراء الخاضعة للنظام العسكري)، لكن إذا اعتبرنا هذا امتياز اللغة العربية،ورثته خلال القرن 20، فقد أصبح محدودا ، كلما توسع النظام المدني في الجزائر، وبصفة نهائية، أصبحت اللغة العربية، معترفًا بها لأداء الخطب في المساجد ولم يسمح لها إلا في مجالس القضاء للمسلمين . لذلك أخذت جمعية العلماء على عاتقها مسألة اللغة العربية دفاعا على المقومات الأمة ، و حفاظا على شخصية الجزائري ، فقد دخلت في جدل حاد مع فئات واسعة من دعاة

الادماج و المجنسين من الجزائريين و غيرهم .و قد كان مرسوم 8 مارس 1938 أكثر القوانين قهرا للتعليم اللغة العربية في المدارس الحرّة . من هنا عمدت الجمعية على نشر مواقفها من القضية في العديد من الجرائد التابعة لها أو القريبة من أفكارها ، فقد جاء في جريدة الدفاع (La défense)(**21**) الصادرة باللغة الفرنسية ، في عددي يومي 8 و 15 جوان 1938 ، تهجما على المرسوم و تداعياته ،كما جاء التهجم بنفس النبرة في جريدة الوفـاق(**22**) (l'Entente)- حتى و إن كانت بعيدة عن أفكار الجمعية - الصادرة يوم 18 جوان1938 ، بعد أن أطنبت الادارة الفرنسية في ذكر محاسن مرسوم 18 أكتوبر 1892 (**23**)الخاص بالتعليم حيث كتب الدكتور بن خليل من باتنة و هو يقترح مخرجا للوضعية المزرية :" من أجل تهدئة ضمائر الناس و إرساء نهائيا السلم الديني ، يجب توسيع قانون فصل الكنيسة على الدولة، على الدين الاسلامي بصفة كاملة."(**24**)

ارتبط دفاع الجمعية عن الاسلام بدفاعها عن اللغة العربية للأسباب التالية :

1- لأنّها لغة القرآن و ما دامت الجمعية قد تأسست لمحاربة البدع و الخرافات ، فهي لا تتمكن من تحقيق أهدافها إلا بتمسكها باللغة العربية .و قد عبّر الإمام عبد الحميد بن

باديس عن هذا الخط الذي انتهجته الجمعية ف قوله :" القرآن إمامنا و السنة سبيلنا و السلف الصالح قدوتنا و خدمة الاسلام و المسلمين و ايصال الخير لجميع سكان الجزائر غاياتنا". 2- لأنّ الغة العربية هي إحدى مقوّمات الشخصية الجزائرية ، و بالتلي لا يمكن التفريط فيها، و عبر الامام عبد الحميد بن باديس عن هذا الانتماء في عدة مناسبات و من خلال عدة قصائد ، منها " شعب الجزائري مسلم و إلى العروبة ينتسب ..." و قال في مناسبة أخرى عندما أريد التشكيك في إنتماء الجزائررين إلى العروبة :"نحن شعب أمازيغ عرّبنا الإسلام"

3 /- كما أنّ دفاع الجمعية عى اللغة العربية أصبح قضية مصيرية في الجزائر خاصة بعد مرور مئة سنة على احتلال فرنسا الجزائرعام 1930، و الاعتقاد أنّ الشعب الجزائري قد انتهى و أنّ الجزائر قد أصبحت فرنسية. و هو ما ردّ عليه الأمام مواصلة في القصيدة السابقة الذكر:" من قال حاد عن أصله أو قال مات فقد كذب ..."

لقد دافع الإمام عبد الحميد بن باديس بشجاعة و بسالة و استماتة بقول كلمته مهما كانت الظروف و مهما الصعوبات و حتى التهديدات ، فقد صرّح في مقال له صدر في جريدة البصائر عدد يوم 27 ماي 1938:"..زأسم بالله لأنّه عار و أيّ عار !

أن نقول أن السكان الجزائريين يريدون تعلم دينهم بواسطة لغتهم معتمدين على إمكانياتهم و أنّ الإدارة تمنعهم في ذلك و هي تعرقل و تحارب تعليمهم ، هل هذه هي حقيقة فرنسا ؟ لا، لا يتخيل الفرنسي الذي يعيش في فرنسا هذا الأمر. لقد كانت لي فرصة الحديث مع هؤلاء (الفرنسيين) في الموضوع ، فكان من الصعب عليم تصديق ذلك ، فنحن مجبرون للاستمرار في هذه العارضة المشروعة و نواصل تقديم مطالبنا المشروعة إن شاء الله ، لن يضيع حقا لمن يطالبونه باستماتة."(**25**)

ب/ علاقة الجمعية بالأحزاب و الشخصيات و موقفها من الأحداث :

1- موقف الجمعية من الادماج :

لم يكن موقف جمعية العلماء واضحا **حسب رأي** بعض الجزائريين أنذاك و هو ما أرادت أن تروّج له الأدارة الفرنسية محاولة منه ابراز الاختلاف الحاصل بين الجزائريين ، بالفعل فإن الموقف لم يكن مع مشروع بلوم – فيوليت صرحة و لم يكن ضده كذلك . هذا ما ذهبت إليه جريدة الأمة الصادرة في باريس، حيث جاء على لسان أصحابها تحت عنوان (رسالة مفتوحة للعلماء) ،مايلي:" يجب على العلماء ، الذين نكنّ لهم كل الإحترام ، أن يقولوا كلمتهم حول مشروع فيوليت و عليهم تحمل مسؤوليتهم كاملة أمام

الشعب الجزائري ، أمام التاريخ و أمام الإسلام ، نحن نعلم تمام المعرفة أنّ العلماء ، بعد الإطلاع على ذلك في جريدة الشهاب ، عبروا عن معارضتهم لكل إدماج للشعب الجزائري، لذلك نطالب هؤلاء أن يوضحوا لنا موقفهم من القضية قبل فوات الأوان..."

هذا و قد حاول صاحب المقال وضع قضية الادماج في سياقه العربي، الاسلامي و حتى العالمي جيث قال: " لم تفرط الشعوب العربية و حتى الشعوب المقهورة في العالم، في أيّ وقت مضى، في جنسياتها و سيادتها ، وهي تكافح بكل ما تملك من أجل الحفاظ على أغلى و أنبل(الكرامة) و فوق كل إعتبار. و غير بعيد عن بلدنا ، حقق إخواننا في مصر و سوريا و العراق إستقلالها ، هل غمرتكم الفرحة عندما ألقى رئيس الوزراء السوري كلمة لم يترك أي عربي إلاّ و ذكره . هل تعلمون أنّ النائب العربي (فخري البارودي) كان قد صرّح في كلمة أمام البرلمان السوري و هو يقول أنّ مهمته (واجبه) لم تنته و لن تنتهي إلا بعد تخليص كل عربي من القهر و الإحتلال .

يعود صاحب المقال لينبه التزامات الجمعية فيقول: بعد كل هذه الوقائع ، التي لا تقل أهمية، أنتم العلماء الذين لديكم مسؤولية كبيرة أمام الله و أمام الشعب و أمام العالم الإسلامي ،لماذا لا تصرحون بكل صدق و بصفة علانية و شجاعة معارضتكم السياسية لمهزلة الإدماج التي تهدف إلى تقسيم الشعب إلى قسمين و تأليب جهة على

جهة أخرى ، كما يهدف إلى إنشاء طبقتين : الأولى متميزة و الثانية ضحية مصالح النخبة التي تعرفونها حق المعرفة و التي لا ينتظر منها الشعب الشيء الكثير..."(**26**) بعد هذا التهجم على الجمعية في قضية توضيح موقفها من سياسة الإدماج ، لم يأت ردها ، حسب نشرية جرائد الأهالي ، إلا بعد عام حيث ورد مقال في جريدة البصائر ليوم 27 ماي 1938 ، تحت عنوان "لماذا نحن ضد الإدماج ؟ " هو ضد كرامتنا (الإدماج) كرجال إذا قبلنا بهذه القوانين التي تصدم ضمائرنا . لقد أوهمنا الإستعمار أنّه لم يكن لدينا أي أمّة ، قبل إحتلال هذه الأرض في إفريقيا،و كنا غارقين في ظلم البربرية، لكن هذا الإدعاء خال من أي حقيقة . لقد كنا أمّة حقيقية قبل دخول الفرنسيين الجزائر، تجذر الأحساس بالتضامن و الوحدة الوطنية في نفوسنا ، و ميزة حياتنا تخصنا . وعندما قلّدنا الغرب ، فقدت الجزائر نفسها ، و ألهمت الآفات الإجتماعية المنقولة من الغرب ، مثل الخمر و الدعارة ،سكان الجزائر. و لم تأت فرنسا من أجل تحضيرنا ، لكن من أجل الإحتلال، و إلا لكانت سياستها مغايرة لما تنتهجه تجاهنا حتى تحافظ على وجهها البغيض أكثر فأكثر. يعمل الإستعمار على تحطيم الإسلام و لسي التعاون معه...نحن لدينا ماضي الأمجاد و سنظل و افيين لإماننا الرسخ، و يبقى الإدماج بالنسبة لنا عملية طوباوية خيالية . لن نكون فرنسيين لا بالأصل و لا باللغة و لا بالدين ، لا و

ألف لا، و لن تكون العربية سليمة العقل فرنسية أبدا. مهما فعلتم أيها السادة الإدماجيون، لا يمكن أن يقع الإدماج بين عشية و ضحاها حتى بواسطة حركة سحرية (27)".

2/أحداث بسكرة وموقف الجمعية منها:

خلال إنتخابات الوفود المالية التي نظمتها الأدارة الفرنسية يوم 6 فيفري 1938، حدث و أن خرج الجزائريون إحتجاجا على تزويرهذه الإنتخابات التي فاز بها "الشريف سيسبان"(28) و هو مرشح الإدارة على حساب الدكتور "عبد السلام بن خليل" مرشح فدرالية المنخبين المسلمين بأربع أصوات، فقتل إثنان من المتظاهرين الجزائريين،ما دفع صحافيو جريدة الوفاق (لا نتنت) إلى إبداء إستيائهم لهذا الإغتيال المزدوج ، و أبدوا حزنهم الشديد و نددوا به بقوّة . كما أظهر فرحات عباس غضبه و هو يتحدث عن المعمرين في العدد 56 من الجريدة الصادر يوم 20 جانفي 1938:"حتى و إن أخذوا منهم رغبة الخروج إلى الشارع ، سيجدوننا فيه ..." و لهذا شارك في مراسيم الدفن أكثر من 20 ألف شخص ، حيث رفع المتظاهرون علم فرنسا(أزرق – أبيض– أحمر) و هم يصرخون "تحي فرنسا ، يحي عباس ..." لكن الشرطة

تدخلت و استطاعت أن تطردهم دون أن يقع مأتم آخر. أدت أحداث بسدرة إلى إهتمام واسع للصحف و الجرائد سواء تلك النطقة باللغة الفرنسية أو العربية. فقد كتبت جريدة الوفاق في عددها يوم 10 مارس 1938 محذرة الإدارة الفرنسية تحت عنوان " الأصوات المضادة للإستعمار" أنّ أحداث بسكرة هي كذلك ذريعة للشحناء ، لقد فتحت عادات العنف عهدا جديدا في هذا البلد ، فإنّ زرع الحقد لا يجني إلا حقدا أكثر، أحذروا ...(**29**) كما ذكّرت جريدة الميدان (**30**) ليوم 6 مارس 1838 بذلك اليوم الحزين الذي راح فيه جزائريان و هي تقول :" لا يمكن أن نسيّر الشعوب بهذه الطريقة ، أيها الطغاة ! أنتم مجرمون و أنتم تتلذذون بالحرية ؟ لقد و قع العديد من الجرحي و القتلى في بسكرة يوم 6 فيفري، يوم الإنتخابات الخاصة بالعرب في الجزائر ، هذا ما قامت الإدارة فقد قتلت عوضا أن تحافظ على النظام .أيتها الإنسانية إرتدي ثياب الحزن . و تضيف الجريدة قائلة : سيكون يوم 20 مارس المقبل ، يوما للحزن و الأسى و ليس يوم الإبتهاج و الفرح ، لأنه سيكون أربعينية الوفاة لضحايا الظلم و الإضطهاد في بسكرة ".(**31**)

ما أشارت إله جريدة "الوفاق" في عدد يوم 24 مارس 1938 هو الكلمة التأبينية التي قالها أحد النواب الجزائريين " محمد العزيز كسوس" (**32**) و بعض الخطب التي ألقيت في المقبرة عند دفن الجزائريان اللذان قتلا في أحداث بسكرة. كما كتب ملخصا لأهم الخطب منها ما قاله الشيخ عبد الحميد بن باديس،اعتبرها البعض موقفا صريحا من هذه الأحداث المأساوية، جاء فيها:" إلى اللذين أدت وفاتهم إلى توجيدهم (شهداء الأحداث)، لقد ألهمونا ، ليس من المخاوف التي انتبت قلوبنا ، إنما الشجاعة المتزايدة مما سبق ، لأنّ بانتزاع منهم الحياة ، أعادوا إحياء و نهوض الجزائر المسلمة بكاملها ، لقد دفنوا بأرض السخاء، سيضلون أحياء في قلوب سبعة ملايين شخص، لا تنسوا هؤلاء أبطال قضيتنا العادلة، كانوا ضحايا النظام الحالي،فيها يد الإستعمار التي سلبت منهم حق الوجود".(**33**)

ما يستخلص من الكلمة التأبينية التي ألقاها الشيخ عبد الحميد بن باديس، أنّها حقيقة كانت معبّرة وهادفة لأمرين إثنين:

1- موقف جمعية العلماء المسلمين من مختلف القضايا السياسية أو العسكرية ، أو الإجتماعية كان محل إهتمام الجزائريين- السياسيين أو العامة - قبل الإدارة الفرنسية .

2- قضية الجزائر هي جزء لا يتجزأ سواء إحتضنتها العلماء أو المنخبين ، اليسايريين أو اليمينيين، المسلمين أو اللائكيين...

3/ إتهام الشيخ الطيب العقبي باغتيال "مفتي الجزائر" :

ولد الطيب العقبي يوم 15 جانفي 1890 بسيدي عقبة (بسكرة) هاجر إلى الحجاز حيث تلقى تعليمه الييني ، حفظ القرآن، لكن بعد وقوع الثورة العربية في عام 1916 نفاه الأتراك إلى بلاد الروم ، عاد إلى الجزائر عام 1920 اين نشر أفكاره عن النهضة العربية و الإصلاح الديني الإجتماعي. أسس جريدة الإصلا في الجزائر 1927 و أعاد إصدارها نهاية عام 1939 بعد حوالي عام من إستقالته من جمعية العلماء ، أنجز عدة مقالات في جريدتي الشهاب و البصائر.(**34**) هو كاتب خطيب، صحفي و شاعر ، تولى الوعظ و الإرشاد في نادي الترقي بالجزائر، يعتبر أحد الأعضاء المؤسسين لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين. انتخب في الهيئة الادارية للجمعية ضمن قائمة تتألف من 13 عضوا و هو نائب الكاتب العام.(**35**)

لقد أثرت قضية الطيب العقبي الكثير من التساؤولات و التي بمتلؤها الإندهاش ، فهي بعيدة كل البعد عن الحقيقة مع ذلك ألقت بثقلها على مسار الشيخ من جهة و مسار

الجمعية التي هو عضو فعاّل فيها .وقائع القضية أنّ عند رجوع الوفد من فرنسا (الوفد الذي قدّم إلى السلطات الفرنسبة مطالب المؤتمر الإسلامي) قدّم الطيب العقبي تقريرا حول النتائج التي تحصل عليها المهرجان الكبير في الملعب البلدي بالجزائر، فاستغلت السلطات الاستعمارية هذه المناسبة لتقوم بإغتيال مفتي الجزائر "محمد كحول" (**36**) و اتهمت الشيخ الطيب العقبي بأنّه وراء العملية (المدّبر ما دام أنّه قبض على الفاعل) فاعتقلته برفقة عباس التركي و زجت بهما في سجن "بربروس"،غير أنّ الإحتجاجات على هذا الاعتقال اشتعلت في كل الجهات ، وأرغمت السلطات على الإفراج عنهما. رأى البعض أنّ المستهدف الأوّل من هذا الإعتقال هو المؤتمرالإسلامي و جمعية العلماء ، و برأي الشيخ البشير الإبراهيمي الإبراهيمي أنّ تدخله رفقة الشيخين ابن باديس و خير الدين يوم إعتقال و غضب الجمهور لذلك عطّت المؤامرة بالحيلولة دون تنفيذ الفصل الأخير منها.(**37**) و المرحلة الأخيرة ، حسب الإعتقاد السائد أنذاك ،هو إعتقال الزعماء و إنهاء مشكل الحركة الوطنية في الجزائر و خاصة تأثير جمعية العلماء المسلمين . أثارت قضية الطيب العقبي العديد من ردود الفعل حول طريقة الإعتقال أو طريقة المحاكمة أو حتى التبريئة . ذكرت صحيفة " الدفاع" ليوم 26 جوان 1938 أنّ موريس فيوليت قد غيّن مدافعا عن الشيخ العقبي باسم " رابطة حقوق الإنسان "باعتبار

أنّ الجمعية الفرنسية – الإسلامية اختارت الشيخ العقبي رئيسا شرفيا لها .(38)

4/ خلاف الشيخ عبد العزيز الهاشمي مع جمعية العلماء :

الشيخ عبد العزيز الهاشمي هو الإبن الثالث للشيخ الهاشمي، وإبن الطريقة القادرية أصبح شيخها فيما بعد . ولد سنة 1898 أو 1899 في "البياضة" بلدية وادي سوف، كان قد تعلم القرآن و حفظه و تعلم ميادىء في اللغة والدين في زاوية أبيه،ثم سافرإلى تونس للدراسة في جامع الزيتونة عام 1913، فحصل على شهادة "التطويع " شهر جوان 1923. عاد إلى الجزائر لكن أبوه توفي يوم 15 سبتمبر 1923 بعد حوالي 3 أشهر من عودته، تولى مشيخة القادرية و كان بعيدا كل البعد عن كل تلك المواقف العدائية التي وقفها شيوخ الطرق الأخرى أو أوقفوا فيها ضد جمعية العلماء. حدث منعرج أوّل في حياة الشيخ عبد العزيز الدينية ، الفكرية و السياسية عندما إنضم إلى جمعية العلماء في المؤتمر السنوي المنعقد يوم الجمعة 24 سبتمبر 1937، بعد ألقى كلمة قال فيها :" إنّ الطرق بدعة لا أهل لها في الدين فحسبكم التمسك بالكتاب و السنة..." و أكثر من ذلك ، إنضم الشيخ عبد العزيز إلى حركة الإحتجاج التي قادها و دعا إليها العلماء الأحرار على قانون 8 مارس 1938 المشؤوم، والذي كان يهدف إلى عرقلة سير المدارس العربية الإسلامية الحرة .

سجن الشيخ عبد العزيزو إخوانه العلماء الأحرار في سجن قسنطينة ،و فيه ألّم به المرض ، حصل على حريته عام 1944، لكنه منع من الرجوع إلى الودي ، نفي عدّة مرات قبل أن ينقل إللى العاصمة عام 1946 ثم إلى شرشال(غرب العاصمة) ثم إلى تونس عام أين توفي عام 1965 . أشارت جريدة "الوفاق " الناطقة باللغة العربية ، و الشيخ في السجن، في عدد يوم 3 جوان 1938 أنّ الشيخ عبد العزيز قد طلب من السيد "موريس فيوليت" أن يضمن دفاعه ، حيث وصلت الهيئة إلى سبعة محامين و هم السادة : فيوليت – الأميرال - ديغوليد Déroulède- كوتولي Cuttoli- سيسبان – فورني Fournier- إبن الأبيض . و ما يلفت الإنتباه أنّه جاء في عدد الصحيفة ليوم 23 جوان 1838 تصريحات الشيخ عبد العزيز لأحد زواره في السجن :" لقد خدعوني العلماء لما اختاروا لي دفاعا فاشيستيا و هو النائب "كوتولي"، و دفعوا له 30 ألف فرنك من أملاكي ، و قد استفادوا في جانب منه ، لكنني سأخرج من السجن و أتفوق على أعدائي"(**39**)

لقد كانت الفترة الأولى من مسار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين حقيقة مليئة بالمصائب و الإبتلاءات سواء كجمعية أو كأفراد ، وهي المرحلة التي كان يترأسها الشيخ

عبد الحميد إبن باديس منذ تأسيسها (5 ماي 1931) إلى وفاته (16 أفريل 1940). و هي المرحلة التي عانت فيها الجمعية كثيرا ، تميزت بصعوبتها ، تعرضت فيها الجمعية لمضايقات من قبل السلطة الفرنسية بمنع إلقاء الأناشيد الوطنية في الأقسام مع التلاميذ ، و ذلك بعد صدور مرسوم 13 جانفي 1938 القاضي بفرض رقابة مشدّدة على نوادي جمعية العلماء و منعها من القيام بأي نشاط ثقافي أو سياسي.(**40**)

قبل أن يأتي قانون شوطان (8 مارس 1938) ليمنع فتح أيّ مدرسة حرّة إلا بتوفر شروط قد تكون الجمعية غير قادرة على توفيرها مثل : مستوى المعلم و لياقته ، طبيعة المحل و نظافته ، برنامج التعليم و أهدافه...مع ذلك استماتت الجمعية في تحدياتها في مواجهة الادارة الفرنسية إذ واصلت تأسيس هذه المدارس حتى بلغ عددها حوالي 150 مدرسة مع إندلاع الثورة الجزائرية. كانت نشاطات الجمعية محل اهتمام حتى البوليس السري الفرنسي، فقد عثر على تقرير سري كتبه مسؤولون فرنسيون في خمسينيات القرن الماض مفاده أنّ العلماء كانوا يمثلون خطرا على الفكرة الفرنسية في الجزائر، فتلاميذ مدارسها عبارة عن خلاليا سياسية و الإسلام الذي يمارسونه مدرسة حقيقية للوطنية.(**41**)

أما فيما يتعلق بأعضاء الجمعية فإن متابعتهم و مطاردتهم اينمتا كانوا هو ما كانت تريده الادارة الفرنسية ، و التجرؤ حتي باتهامهم ظلما و بهتانا كما وقع للشيخ الطيب العقبي عندما اتهمته الادارة بالضلوع في اغتيال "محمد كحول " مفتي الجزائر، فانعكست الحادثة على مستقبل الجمعية كما يلي :

1- انسحاب رئيس المؤتمر الإسلامي " الدكتور بن جلول" معلنا عدائه للجمعية و أعضائها، فبلغ الخلاف الذروة.

2- إنسحاب الشيخ الطيب العقبي و استقاله من جمعية العلماء في شهر سبتمبر 1938 بمناسبة انعقاد اجتماعها السنوي بنادي الترقي، بعدما أعلن ولائه للإحتلال دون حرج . أما الشيخ عبد العزيزالهاشمي فقد تجرأ حتى بإتهام أعضاء الجمعية بالاستفادة من أمواله لما كان في السجن، و آخذهم بسوء إختيار له هيئة الدفاع في قضية اتهامه بالاخلال بالنظام العام ، عندما خرج في مظاهرات منددة بقانون 8 مارس 1938. بقيت الادارة الفرنسية تراقب نشاط الجمعية و تحركات أعضائها عن كثب إلى أن بدأت ملامح إندلا ع الحرب العالمية الثانية تلوح في الأفق ، و خوفا من أن تستغل الجمعية الوضع للوصول إلى مبتغاها، قامت الإدارة بتكبيل

أعضائها إذ فرضت الإقامة الجبرية على الشيخ عبد الحميد بن باديس و نائبه الشيخ الإبراهيمي و آخرين عام 1939. كما أوقفت مجلة الشهاب عن الصدور .

الإحـــــــــــالات:

(1) لم تصدر جريدة الأمّة التابعة لحزب الشعب الجزائري في شهر فيفري 1938. أنظر: Bulletin Mensuel de presse indigene d'Algérie- mois de fevrier 1938-P.I

(2)-(L) Gobron : législation et jurisprudence de l'enseinement privé en France et en Algérie,2e Edition .Paris 2001. P.887

(3)-صدر قرار وزاري من قبل وزير الداخلية فرنسا"شوطان" "Chautemp " 8 مارس 1938 واعتبر اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر لا يجوز تعليمها في معاهد التعليم سواء كانت حكومية فرنسية أو شعبية حرة إلا بترخيص خاص من إدارة الإحتلال . ولد كاميل شوطان يوم 1 فيفري 1885 في باريس ، رجل سياسي فرنسي. عيّن رئيس وزراء فرنسا للمرّة الأولى (1930/2/21-1930/2/25)، لم تدم حكومته سوى 4 أيام . عيّن للمرة الثانية من قبل رئيس الجمهورية ألبير لوبران (1933/11/26- 1934/1/27)، دامت الحكومة شهرين فقط . والمرة الثالثة (1937/6/19-1938/3/13)، وهي أطول مدة لحكومة شوطان ، دامت حوالي تسعة أشهر ،

وفيها أصدر القانون المشؤوم (المذكور أعلاه)بحيث كان يشرف كذلك على وزارة الداخلية الفرنسية. توفي في واشنطن يوم 1 جويلية 1963 ، عن عمر ناهز 78 سنة .

(4)- جريدة الشهاب – مجلد 13 – قسنطينة 1937 ، ص 20

(5)- أحمد الخطيب : حزب الشعب الجزائري ، الجزء الأول م.و.ك الجزائر 1986 .ص.196

(6)- تركي رابح: التعليم القومي والشخصية الجزائرية. ط2 ش.و.ن.ت الجزائر 1981 ص.168.

- A.O.M 14H 41 (251) : Enseignement Privé Musulmans , (7)Oulamas 1936.

(8)- 55 cpcom/83- Bulletin Mensuel de Presse Indigène d'Algérie.mai 1938 P ; 17

(9)- محمد الميلي: ابن باديس وعروبة الجزائر، ط 2 ، ش.و.ن.ت. الجزائر 1980، ص.ص 130 – 139

(10)-B.M.P.I.A : op-cit

(11)- (M.) Gaudry: l'éducation de la femme indigène; in Amina N° 1 (janvier- fevrier 1936) p.14

(12)- سورة البقرة : الآية 227 " و المطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ……".

(13)- سورة الأحزاب الآية 34 .

(14)-: الميلي : مرجع سابق ، ص 137 .

(15)-(M.) GAUDRY: L'instruction de la Femme indigène in Revue de France, 33ème N°121 P.P 166-169.

(16)-البصائر: عدد année (Juin 1936) 177، السنة الرابعة 4 أوت 1939 ص2.

(17)- الشيخ محمد خير الدين : ولد في شهر ديسمبر 1902 بواحة الزيبان ببسكرة، نشأ مع أربعة اخوة ولدوا بعده اهتم والده بتربيته تربية دينية اسلامية هو و اخوته.ارتحل إلى قسنطينة لطلب العلم ، انضم إلى مسجد (الأربعين شريف) و تعلم فيه النحو و الفقه، هاجر إلى تونس عام 1918 و أقام في الزيتونة مدة سبع سنوات حصل فيها على شهادة (التطويع) عام 1825 حيث عاد إلى الجزائر بعد وفاة أبوه بحوالي سنة . يعتبر الشيخ من المؤسيسين الأوائل للجمعية، حيث حضر اجتماع الرواد التسعة عشر. توفي يوم 10 ديسمبر 1993 في الجزائر العاصمة و خلّف مذكراته بعنوان " مذكرات الشيخ محمد خير الدين" في جزئين ، تعتبر حقيقة وثيقة مصدرية سطرت مساره التعليمي و دوره الفعال في جمعية العلماء .

B.M.P.I.A : op-cit , mai 1938 P. 18

(18)-

(19)-الميلي : المرجع السابق، ص: 150.

(20)-حتى تقترب فرنسا من الجزائريين، أنشأت عام1839 أسبوعية الأخبار Les informations ،اصبحت تصدر باللغتين (الفرنسية والعربية)1909 وبقيت في الصدور حتى 1934. (21)- جريدة الدفاع كانت تصدر في الجزائر باللغة الفرنسية و هي قريبة من جمعية العلماء و الشيوعيين وهي جريدة اصلاحية تابعة للشباب.

(22)- جريدة الوفاق تابعة لفيديرالية المنتخبين وهي معارضة قوية للاستعمار، تصدر بقسنطينة وهي جريدة انتهازية.

(23)- جاء في المادة الرابعة من مرسوم 1892/10/18 : ديانة التلاميذ ، إنّ حرية العقيدة الدينية مضمونة للتلاميذ الأهالي في كل مدرسة سواء كانت عمومية أو خاصة ، ولا يمكن أن يتعرض هؤلاء لأي عمل أو فعل يتنافى مع ديانتهم أنظر: J) Mirante : l'oevre française pour l'enseignement en Algérie de 1830 à 1930 ;in cahiers du centenaire N°11 P. 86

(24)- عبد السلام بن خليل: دكتور في الطب ، تخرج من جامعة الجزائر عام 1927، نائب في مجلس بلدية باتنة عام 1934، وهو تاريخ انضمامه إلى إتحاد المنتخبين المسلمين بقسنطينة، سجن إثر أحداث 8 ماي 1945 بناحية سطيف. و هو في السجن ترشح ضمن قائمة حزب الاتحاد الديموقراطي للبيان الجزائري في انتخابات مجلس الجمهوري (سينا) يوم 8 ديسمبر 1946، شارك في

الدفاع عن الدستور الذي اقترحه حزبه بمنح الجزائر الحكم الذاتي في اطار الفيديرالية الفرنسية. استقال من المجلس بتاريخ 28 أكتوبر 1947.

(25)-

B.M.P.I.A : OP-CIT P.17

(26)- 55CPCOM / 82 : B.P.I février 1937 P.P. 15-16, ou journal El Ouma(de Paris) N° 46 Edition spéciale.

(27)- B.M.P.I.A : OP-CIT P.19

(28)- الشريف سيسبان : و لد يوم 2 أكتوبر 1896 بلامبيز (باتنة) وتوفي يوم 1 ديسمبر 1990 بنيس (فرنسا) . نائب عن قسنطينة في المجلس بعد فوزه في إنتخابات 7 نوفمبر 1948 و إنتهت عهدته يوم 18 ماي 1952.درس في ثانوية قسنطينة ثم واصل دراسته في كلية الآداب ثم الحقوق بجامعة الجزائر. ينتمي إلى الإتجاه الإشتراكي الديموقراطي و تجمع اليسار الجمهوري .

(29)-B.M.P.I.A : Mars 1938 P. 12

(30)- جريدة الميدان تصدر بقسنطينة باللغة العربية ، لكن إنتشارها لم يكن واسعا و لم تصدر في شهر مارس 1938 إلا مرّة واحدة يوم 6.و هي جريدة خاصة بفيديرالية المنتخبين المسلمين، وطنية ،

من دعاة الوحدة الإسلامية و العربية في شمال إفريقية ، لكن إنتمائها الديني غير محدّد .أنظر : B.M.P.I.A mois de mars 1938 P. II

(31)– لقد صادفت المظاهرات الإحتفاء بمرور أربعين يوما على وفاة الجزائريان في بسكرة، إذ من يوم 6 فيفري إلى يوم 20 مارس نحسب 42 يوما ، لذلك تم تأخير الأربعينية بيومين لكي تصادف تدشين مهرجان بسكرة . أنظر : B.M.P.I.A : Ibid P. 12

(32)- محمد العزيز كسوس:محامي ن صحفي ، موظف كبير و برلماني، مدافع عن المساواة في الحقوق في الجزائر، ولد يوم 25 جوان 1903 في القالة (شرق الجزائر) و توفي في باريس 13 ماي 1965 بعد مرض عضال.درس في ثانوية لوسياني بسكيكدة ، زميل فرحات عباس و بقي وفيا له حتى عام 1956. درس الحقوق سنوات 1920، ناضل فيجمعية طلبة شمال إفريقيا ، عيّن أمينا عاما في ودادية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا (A.E.M.N.AF) بين 1923-1924 و عضو مؤسس للجمعية في فرنسا.أصدر عام 1935 كتاب" الحقيقة حول أزمة الجزائر" مع إفتتاحية الدكتور بن جلول ، يشرح في الكتاب إنسداد المؤسسات السياسية في الجزائر.إنخرط في الزب الإشتراكي عام 1931إلى غاية 1946، ساند مشروع "بلوم-فيوليت"،شغل رئيس تحرير جريدة الوفاق "L'Etente " الفرنسية –المسلمة ، ثم صحفي في وهران الجمهورية 1936-1940 ،حرّر عام 1943 "بيان الشعب الجزائري" مع فرحات عباس ، كما أنشأ معا جريدة المساواة حتى عام 1945 اين منعت.انتخب شهر مارس 1948 في مجلس الجمهورية ممثلا للإتحاد الديقراطي للبيان الجزائري.أصدر جريدة "المجتمع الجزائري"،تصدر مرّة كل شهرين بين 1955-1956.خرج من الجزائر 1957 من أجل التداوي و توفي 1965.

(33)- B.M.P.I.A : mois de mars 1938 P.P.12-13

(34)- أبو القاسم سعدالله : الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930، ج3 - دار المغرب الإسلامي- 1992.ص.392

(35)- عمار هلال : العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية فيما القرنين 19 و 20.د.م.ج. الجزائر 1995. ص. 444

(36)- عمر بن دالي المدعو محمد كحول القسنطيني ، صاحب جريدة (كوكب إفريقيا) و مؤلف كتاب (التقويم الجزائري) عيّن مفتيا في قسنطينة عام 1916 ثم في العاصمة 1936 خلفا للشيخ الحفناوي ، اغتيل يوم 2 أوت 1936 عند طعنه بسكين في شارع (لا لير) بالجزائر.و إتهم الطيب العقبي بالضلوع في الإغتيال و التدبير له لأنّه كان في خصام مفتوح مع المغتال.

(37)- محمد عباس : " الشيخ العقبي المتهم البريء في إغتيال المفتي كحول "، جريدة الفجر عدد يوم 2013/4/2.

(38)- B.M.P.I.A : mois de juin 1938 P. 7

(39)- Ibid.

(40)- عبد الرحمان بن العقون : الكفاح القومي السياسي من خلال مذكرات معاصرة -ج1- المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1984 ،ص. 223

(41)- سعدالله : الحركة مرجع سابق ، ص. 10